مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 14 ع 02.
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

الأثر الثقافي للنخبة التلمسانية بحواضر المغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة

The Cultural impact of the Tlemcen Elite in the Cities of Morocco During the Modern Period

محمد بومدين * Boumedine Mohammed
boumedinem999@gmail.com
محمد بوشقيف Bouchekif Mohammed
bouchekifmohammed4@gmail.com
جامعة أبو بكر بلقايد. تلمسان/ الجزائر

DOI : 10.46315/1714-014-002-002

الإرسال: 2025/01/04 **القبول**: 2025/04/08 **النشر**: 16/ 06/ 2025

**

ملخص: نسعى في هذه الورقة العلمية على أساس المنهج التاريخي التحليلي إلى البحث عن أجوبة لإشكالية متمحورة حول الأدوار الريادية التي تبوأتها النخبة التلمسانية في حواضر العلم بالمغرب الأقصى، وإلى أي مدى انتفع منها هذا الأخير، على مستوى استفادة علمائه من التواجد العلمي التلمساني بمراكزه الثقافية في الفترة الحديثة، وإلى أي حدٍ استطاعت هذه الطليعة العلمية تقلد أرقى المناصب الدِّينية والدُنيوية في مختلف المؤسسات الفكرية بتلك الحواضر، ناهيك عن إزالة الأستار عن كيفية اغتنام طلاب العلم هناك فرصة ميلاد المنتوج العلمي لعلماء تلمسان، واستغلاله للنهوض بحضارة المغرب الأقصى فيما بعد، والتي كان من الضروري تأكيد هذه الإسهامات، ودحض ما اعتاد عليه الدارسون لتاريخ مدن ومراكز المغرب العربي، على أن الأثر الثقافي لهؤلاء الفطاحل لم يكتسح بل ولم يطرق أبواب البلاط الملكي للسعديين والعلويين، وأن تآليفهم لم تشهد رواجًا في مجالس العلم، وأن مناهجهم في تلقين العلوم والمعرفة لم ترق إلى مصاف مناهج العلماء آنذاك.

كلمات مفتاحية: تلمسان؛ العهد العثماني؛ العلماء؛ حواضر المغرب الأقصى؛ التواصل الثقافي.

Abstract:

In this research, we seek, on the basis of the historical and analytical approach, to reach answers centered around the problem of the cultural roles assumed by the Tlemcen elite in the cities of science in Morocco, and to what extent these scholars were able to hold the most prestigious scientific positions in the various intellectual institutions in those cities, not to mention researching how Morocco exploited the cultural influence of these scholars.

Keywords : Tlemcen; the Ottoman era; the Scientists; the cultural communication; the Metropolitan scientific regions of Morocco.

**

* - د. محمد بومدين: boumedinem999@gmail.com

1- مقدمة:

أظهرت النخبة التلمسانية خلال الفترة الحديثة درجة عالية من التمكن الفكري والعلمي في حواضر البلاد الإسلامية، وبشهادة علماء هذه المراكز الثقافية، سواء في الشرق أو الغرب الإسلاميين، أمثال: **الشفشاوني، والإفراني، والقادري... بالمغرب الأقصى، والشاهيني، والمرادي، والمحبّي...**، بالمشرق الإسلامي، والتي اعتبر غالبية علماء تلمسان تلك المراكز العلمية حينذاك، مقرًا نهائيًا لهم، نتيجة للأوضاع السياسية والعسكرية وحتى الدينية والثقافية التي كانت تشهدها مدينتهم، وانعكست على مَسِيرتهم العلمية بشكل أضحت فيه هذه النخبة تهاجر من موطنها منذ النصف الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، الذي خاضت فيه بيوتات تلمسان العلمية تجربة تاريخية في صدامها مع السلطة السياسية من العثمانيين، ليتحول القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي والذي يليه، فترة زمنية استثنائية تلاحقت فيهما بنسبة كبيرة هجرات العائلات التلمسانية المثقفة والعلماء بشكل عام، لتتواصل هذه الهجرة الاضطرارية حتى مع القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، أين استكشفنا فيه أسماء الكثير من العلماء التلمسانيين الذين تقلدوا مناصب علمية ودينية راقية لم تتحصل عليها حتى النخبة العالمة المحلية في الحواضر الثقافية المذكورة.

. أهمية الموضوع:

تظهر أهمية موضوعنا باعتباره موضوع مُتشعب المجالات، ومُتعدد المصادر، وأن مادته المعرفية التاريخية، تبقى دائمًا حبيسة المخطوطات والوثائق الأرشيفية.

يجعل موضوعنا هذا المصادر المحلية والمُتخصصة وما تحمله من تفاصيل دقيقة تخص العلم والعلماء في مدينة تلمسان مثلاً، التي عانت هي الأخرى على غرار مدن الإيالة من سيطرة أقلام المدرسة الإستعمارية في مرحلتها الأولى وهي تُؤرخ لمستعمرات ما وراء البحار، بأساليب ومناهج تخدم المستعمر الفرنسي، وتُقزم الدور الريادي للإنتاج الأدبي والعلمي لإيالة الجزائر. أقول؛ أنها تُمثل خير دليل يُستنبط منه الواقع الثقافي الحي والحقيقي لنخبة تلمسان عندئذ.

. أهداف الموضوع:

نصبوا من وراء هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، سطرناها منهجيًا ومعرفيًا، في الموالي:

- إنجاز دراسة متخصصة خاصة بالتاريخ العلمي لعلماء تلمسان بحواضر المغرب الأقصى، تغطى الفترة الحديثة بكاملها، ذلك أن معظم الدراسات في هذا المجال تخصصت نوعًا ما في فترات زمنية محددة مثل القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ولم تتعد أقلامها إلى القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، أو القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

-إعداد رصد بيوغرافي لعلماء تلمسان، وإحياء مساهماتهم العلمية في المغرب الأقصى.

- محاولة استكشاف الصورة الصادقة والموضوعية التي دفعت بنخبة تلمسان إلى اختيار مواطن علمية أخرى خارج مدينتهم، والتي اشتهروا فيها اشتهارًا وُثِقَ في الكتب والوثائق الخاصة بتلك المراكز العلمية على غرار المغرب الأقصى.

. تحديد الإشكالية وفرضياتها:

يتنزل مِن رحم اهتمامنا بتاريخ مدينة تلمسان الثقافي عبر العصور، عنوان بحثنا هذا الموسوم بـ: **"الأثر الثقافي للنخبة التلمسانية بحواضر المغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة"**، ليُثير طرح تاريخي يُركز على مدى قدرة النخبة التلمسانية العالمة من تحصيل الإهتمام العلمي من سلاطين المغرب الأقصى وعلمائه وطلبة العلم به، ونفض الغبار عن درجات تفوقهم العلمي هناك. كل ذلك من مُنطلق فرضيات وتساؤلات واستفهامات مُتنوعة، بتنوع طبيعة الموضوع الذي حُدِّد زمنيًا بالفترة المُمتدة من **962هـ/ 1554م**، التي توافق بداية الالحاق النهائي والرسمي لمدينة تلمسان بالإدارة العثمانية، حتى نهاية الوجود العثماني بها سنة **1252هـ/ 1844م**. في نطاق مكاني يُمكن حصره في حواضر المغرب الأقصى وضواحيه من قرى ومداشر. وإذ نفترض على أساسه أنه كان لها تاريخ علمي وثقافي مُميز، وأنها أكدت بنشاطها الدؤوب مدى رُسوخ الثقافة التلمسانية بتلك الأصقاع الفكرية والعلمية، سنحصل على إجابات تثبت مدى التوافق العلمي والفكري الثقافي الحاصل بين علماء تلمسان وسلاطين المغرب الأقصى وعلمائه. متفرعة عنها مجموعة من التساؤلات يُمكن إجمالها فيما ما يلي: هل يُمكن اعتبار تدهور الأوضاع الأمنية والسياسية والعسكرية في تلمسان زمن العثمانيين عامل رئيسي من عوامل الهجرة للنخبة التلمسانية اتجاه حواضر البلاد الإسلامية؟ أم هناك عوامل وأسباب أخرى كانت وراء هذه الهجرة العلمية؟ ومن تم. هل كانت فكرة النفور من مدينة تلمسان اضطراري أم اختياري؟ وأين تظهر تداعيات هذه الهجرة على الحركة العلمية بحواضر المغرب الأقصى؟ ثم بماذا يمكن استجلاء مظاهر استفادة هذه الحواضر من الرّحلات العلمية للمثقفين التلمسانيين في الفترة الحديثة؟ وما مظاهر تفوقهم على اقرانهم من العلماء والشيوخ هناك؟

. المنهج وطرق معالجة الموضوع:

تسلك الدراسة مسلك البحوث الكرونولوجية التي تجعل من المنهج التاريخي التحليلي مُنطلقًا التدقيق المعرفي، والتمحيص في أدوات المادة التاريخية، بغية إماطة اللثام عن طبيعة الأثر العلمي والفكري التي تركه الأعلام في السياق المكاني والزمني المُراد معالجته بأسلوب لا يبتعد عن **المقارنة، الإحصاء، الاستقصاء، التقميش، الوصف**...، وغيرها من الطرق العملية التي يُمكن تطبيقها لتقصي الحقيقة التاريخية ولو نسبية كانت، عبر تتبع ميلاد العالم، مُرورًا بإسهاماته، ووصولاً عند انجزاته ومأتمه. في وضعية طلبية تبحث عن الأسباب والمُسببات التاريخية الصانعة للحدث التاريخي والمُؤثرة فيه.

**

2. عرض:

لما تعرضت مدينة تلمسان للإلحاق النهائي بدار السلطان سنة **963هـ/ 1555م**، دخلت النخبة العالمة بها في صراع سياسي وديني مع القادة العثمانيين، هذا الصراع الذي سيترك آثارًا سلبية على الحركة العلمية بمدينتهم وينعكس بشكل إيجابي على النشاط العلمي للمدن والحواضر المغاربية التي يرتحلون إليها، وسوف يحصلون فيها على مناصب عالية على غرار المغرب الأقصى بدرجة أكبر، وبذلك يُمكن القول أن حواضر المغرب الأقصى، مثل: **فاس، ومكناس، ومراكش، وتِيطَاوين، وتارودانت، والسوس...**، شهدت سنوات علمية راقية، يعود الفضل فيها بنسبة كبيرة للعائلات العلمية التلمسانية وعلمائها، لمَّا أصبحت هذه المدن نقطة استقطاب لعلماء تلمسان طيلة ثلاث قرون ونصف القرن من الزمن، دون أن نهمل الرحلة العلمية الوافدة في الاتجاه المعاكس على هذه المدينة من قبل علماء وفقهاء المغرب الأقصى على قرى تلمسان حيث الذي نقلوا العلوم والمعرفة التلمسانية إلى مداشرهم في حركية علمية جسدت طابع الأخذ والعطاء العلمي ليس فقط بين العلماء، ولكن أيضا بين القرى والمداشر على ما نفصل فيه في الموالي:

1.2. التواصل العلمي بين مداشر حاضرة تلمسان والحواضر العلمية بالمغرب الأقصى:

تميزت العلاقات الثقافية بين تلمسان والحواضر العلمية للبلاد الإسلامية عبر العصور في غاياتها وأهدافها بالتَّواصل والإستمرار الديني والعلمي، وفي الفترة الحديثة بقيت هذه الخاصية تتجلى بتبادل المنافع العلمية وفوائدها، كيفما كانت، مادية إذا تعلق الأمر بانتقال العلماء وتآليفهم من وإلى تلمسان، أو معنوية مُرتبطة بتلاقح الأفكار المعرفية بين المؤسسات العلمية لتلمسان ومختلف مداشر المعرفة والعلم وقراها بالمغرب الأقصى، وهي حتمية تاريخية ذات أبعاد حضارية يمكن تدليلها بضرورة استمرارية الإنسانية جمعاء.

1.1.2. التواصل العلمي بين حوز العباد ومدينة فاس:

تظهر العلاقة الثقافية بين حوز العباد بتلمسان ومدينة فاس من خلال ما أجمعت عليه المصادر فيما يتعلق بإقبال المثقفين المغاربة على **"عقيدة السنوسي"** الذي تعود جذوره إلى إرتحال العالم أبا عبد الله الورياكلي إلى حاضرة فاس، أين قدم عليه هناك طالب من تلمسان يدعى **"برزيز"**، فسأله الشيخ عن علمائها، فأثنى له كثيرًا على الشيخ أبي عبد الله السنوسي صاحب **"العقيدة"** وأحد علماء العباد بتلمسان، وأخرج له كراسة من جيبه فيها عقيدته، فقرأها الشيخ الورياكلي عن آخرها، وقال: «**الله أكبر (...) ما خرج هذا الكلام إلا من صدر منور، والله على ألا تفارقني هذه العقيدة**»(الطود، 2004، ص: 27. 28).

ومِمَّا ذُكر نستنبط أن مناهج مدرسة تلمسان في علم التوحيد (العقيدة) قد تأثر بها كثيرًا علماء فاس، الذين أصبحوا يُدرسونها في مدارس حواضر المغرب الأقصى، ويعتمدون عليها في برامجهم التعليمية طيلة العهد الحديث. وهو ما أقره الشيخ الورياكلي، عندما قال: «**كان هذا سببا في إقبال**

المغاربة على صغرى الإمام السنوسي واعتنائهم بها حفظا ودرسا (...)"(الطود، 2004، ص: 27 ـ 28).

2.1.2. بين مدشر الحناية ومدشر تيزي عدنيت:

وبين قرية الحناية ومدشر تيزي عدنيت بقرية بَطوِيَّة، نشأت علاقة فكرية ومعرفية عضوية مع مطلع القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، كان لها أثر كبير في تبني مسجد بني سعيد بهذا المدشر للمعرفة العلمية التلمسانية، وللاتجاه الصوفي التلمساني الذي جَسَّده العالم **"إبن مريم"**، ومثله تلميذه **"البطوئي"** الذي عاش في تلمسان مدة سبعة عشرة سنة كاملة وعند رجوعه لمسقط رأسه نقل معه مناهج وأساليب مُدرِّسه إلى الريف الشرقي، وتُوضح الفقرة المقتبسة من **"مطلب الفوزوالفلاح..."** هذا التواصل بين المركزين بجلاء حين قال **"البطوئي"**: "**قد منَّ الله علينا بملاقاة الشيخ الإمام الصوفي الهمام فتمتعت النفس والعين من مشاهدته ومن جميل لقائه وتزودت منه ما ينفعني الله به دنيا وأخرى من جليل علومه وأحواله(...)**"(البطوئي، 2000، ص: 432).

وضمن هذه العلاقات بين القريتين، أُدرِجت مراسلة جوابية في المؤلف المشار إليه، بعث بها محمد الصغير **"إبن مريم"** يُخبر فيها صديقه عيسى البطوئي، عن قُرب إرسال ما طلبه هذا الأخير فيما يخص مناقب والده، ويطلب منه الفقيه محمد الصغير أن يُسلم على علماء قرية تيزي عدنيت وطلبته الذين على ما يبدو قد تتلمذوا بتلمسان أو على الأقل قد جرت بينه وبينهم مُراسلات علمية، حينما نعتهم بإخواننا الطلبة، بقوله: "**مقام الأخ الشقيق سيدي عيسى. وما ذكرتم في شأن مناقب السيد الوالد فإننا إن شاء الله مشتغل بها، تصلكم إن شاء الله، وسلم لنا على سيدي أحمد بن إبراهيم الراسي وعلى سيدي إسماعيل وعلى كافة إخو اننا الطلبة(...)**"(البطوئي، 2000، ص: 47).

وبمجرد الإشارة إلى وجود زمرة من الطلبة المعروفين لدى مركز الحناية التلمساني، دليل على إثبات تلك الصلة، وتأكد من جهة أخرى على الحياة الثقافية التي دبت بمسجد تيزي عدنيت كمركز ديني بالريف الشرقي، وهذه المرة تحت إشراف عيسى البطوئي.

3.1.2. بين مدشر حجاجة بجبل ترارة ومدشر تيزي عدنيت:

وبين مدشر حجاجة بجبل ترارة بتلمسان ومدشر تيزي عدنيت، نقف من خلال المؤلف المذكور سابقًا، أن منطقة ترارة العلمية قد استفاد منها **"البطوئي"** في رِحلته استفادة معرفية مُميَّزة من أحد علمائها، حيث ذكر أنه قد جمعت بينه وبين صديقه أحمد بن ونيس الحلافي التلمساني علاقة علمية وصوفية بالجبل المذكور، إثر مغادرته لتلمسان التي كان قد دخلها قبل ذلك واجتمع فيها بالشيخ أبي زيان بن أحمد التلمساني **(من علماء القرن: 11هـ/17م)**، المعروف بالجرائي، على ما نستنتجه من

كلام **"البطوئي"**، بقوله: "**(...) وسبب اجتماعي به رضي الله عنه (...) أني كنت بجبل ترارة بمدشر حجاجة، وذلك بعد خروجي من تلمسان واجتماعي بها بالشيخ أبي زيان، فاجتمعنا هناك بفضل الرب الكريم والإحسان، (...) و اتصلت الحمد لله أرحامنا، ويخبرني عن جملة مر ائيه، (...) ور أينا بحمد الله لذلك بركة عظيمة وسرى سر ذلك لقلوبنا اللئيمة فرمقنا محاسن تلك الطريقة وتحلينا منها بمجرد الوصف لا بالحقيقة(...)**"(البطوئي، 2000، ص: 121).

2.2. المكانة العلمية لعلماء تلمسان في المؤسسات الثقافية بحواضر المغرب الأقصى:

لقد اشتهرت العديد من البيوتات التلمسانية بنشاطها العلمي والثقافي بحواضر المغرب الأقصى(ابن عزوز، 2019، ص: 29)، التي كانت على رأسها حاضرة فاس(بغدادي، 2015، ص: 201) وتارودانت، ثم مراكش ومكناس، وتيطاوين، والرباط، وطنجة، وغيرها...

1.2.2. أدوارهم العلمية والفكرية في الفتوى والتعليم والخطابة والقضاء:

المُلاحظ أن غالبية علماء تلمسان الذين هاجروا إلى المغرب الأقصى كانوا ينتمون لبيوتات علمية برزت بنشاطها العلمي في تلمسان خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، واكتسبت شهرة دينية هناك فيما بعد.

ولا يخفى أيضًا أنه ليست وحدها البيوتات العلمية في تلمسان من هاجرت إلى تلك الحواضر الثقافية، بل هناك بيوتات جمعت بين العلم والتجارة(لوطورنو، (ج/2)، 1996، ص: 369). وعليه يُمكن أن نميز بين بيوتات علمية محضة وبيوتات امتهنت التجارة وبقيت مُتمسكة بماضيها العلمي.

1.1.2.2. على مستوى البيوتات العلمية:

هاجرت بيوتات العلم من تلمسان منذ بداية الدخول العثماني الرسمي لمدينتهم والحاقها نهائيًا بإيالة الجزائر عام **963هـ/ 1555م**، مثل: **بيت ابن جلال الوعز اني، وبيت ابن ملوكة التلمساني، وبيت ابن الوقاد التلمساني، وبيت المنجرة التلمساني**، وغيره من البيوتات العلمية...، الذين فضلوا الهجرة على أن يتعاملوا مع العثمانيين، فكانت هجرتهم سياسية وعلمية اضطرارية أكثر منها تجارية، عكس البيوتات التي اختارت المكوث في تلمسان ومعاشرة العثمانيين، وتقلدت وظائف راقية في المدينة المذكورة، مثل: **الإمامة، والخطابة، والفتوى**...، حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، وبدايات القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، الذي شهدت فيه بعض هذه العائلات العلمية هجرة جماعية اتجاه المغرب الأقصى، مثل بيت: اليبدري، والمجاوي، وإبن الفخار ... وغيرهم، الذين تحولت أنشطتهم العلمية هناك إلى التجارة والصناعة.

1.1.1.2.2. البيوتات العلمية والتجارية:

أشار **"لوطورنو روجي"** في كتابه **"فاس قبل الحماية"**، للعديد من البيوتات العلمية والتجارية التي استقرت بفاس ونشطت خاصة في الميدان التجاري، مثل أسرة ابن هطال التلمسانية التي اهتم

أفرادها في تلمسان بالعلم، واشتهروا بالكتابة وامتلاك الثروة كما تقدم معنا من قبل، لتتحول في مدينة فاس إلى أكبر البيوتات التجارية، بالاضافة لبيوتات أخرى بعضها من هاجر قبل سنة **1220هـ/1812م**، وبعضها من هاجر سنة **1220هـ/1812م**، والبعض الآخر سنة **1246هـ/1838م**.

وفيما يخص بيوتات العلم والتجارة المهاجرة قبل سنة **1220هـ/1812م**، ذكر **"الرهوني"** في **"عمدة الراوين"** عدد من العائلات الجزائرية التي هاجرت إلى تِيطاوين قبل الإحتلال الفرنسي للجزائر وبعده بقليل، والتي كانت تنتمي أغلبها إلى مدن الغرب الجزائري مثل وهران، تلمسان، مستغانم، ...(بوهليلة، 2012، ص: 82)، إلا أنه لم يُحدد تواريخ قدوم هذه العائلات إلى الحاضرة المذكورة، كما أنه لم يثبت للبعض منهم انتماءاتهم الجغرافية المحددة، حيث أكد هو نفسه في معجمه أن لقب **"الجَزِيريّ"** كان عمومًا يُطلق على كل مُهاجر من الجزائر(الرهوني، (ج/3)، 2003، ص: 104). باستثناء العائلات أو الأفراد الذين كانوا يحملون ألقاب مدنهم الأصلية، كما هو الحال بالنسبة لـ: **"عائلة التلمساني"**(بوهليلة، 2012، ص: 71)، التي كانت تقطن في **"حومة الطرنكات"** الواقعة وسط مدينة تيطاوين، والتي كانت تضم هذه العائلة أربعة أفراد تلمسانيين، بالاضافة إلى عائلة أخرى من تلمسان اشتهرت بإسم **"التلمساني"** كان عدد أفرادها ستة، وغيرها من العائلات التلمسانية... نذكر منها عائلة ابن زاير **(كانت في تطوان سنة: 1215هـ/1800م)**، التي لم يزد **"الرهوني"** على ذكر اسمها وانتمائها إلى الجزائر على العموم، وأنها كانت توجد بتطوان عام **1215هـ/1800م**، ثم انقرضت(الرهوني، (ج/3)، 2003، ص: 41)، وهي تنتمي إلى مدينة تلمسان حسبما ذكره **"عبد السلام بن سودة"** في كتابه **"إزالة الاتباس عن قبائل فاس"**(بوهليلة، 2012، ص: 72).

هذا إلى جانب أسرة ابن مرزوق **(كانت في تطوان أواخر القرن: 12هـ/18م)**، التي كانت من العائلات الرفيعة الشأن في مدينة تيطاوين المغربية. وعائلة بنونة **(كانت في تطوان خلال الفترة الحديثة والمعاصرة)**، من ضمن العائلات التلمسانية المشهورة في تاريخ تيطاوين الحديث والمعاصر. كانت تقطن في تلمسان المحروسة وفاس، ومن أفرادها العديد من العلماء(بوهليلة، 2012، ص: 74)، حملوا لقب **"بنونة"**، ويذكر صاحب **"عمدة الراوين"** أن أصل بعض هذه العائلة من فاس والبعض الآخر من تلمسان، غير أن مُحقق **"عمدة الراوين" "جعفر بن الحاج السلمي"** يعلق في الهامش (584 من الصفحة 87 الجزء الثالث) أن كل عائلة بنونة أصلها من تلمسان(الرهوني، (ج/3)، 2003، ص: 87).

وهناك كذلك عائلة التلمساني **(كانت في تطوان سنة: 1202هـ/1794م)**، التي كان من بين أفرادها القائد الحاج محمد التلمساني خليفة الباشا المغربي الملقب بـ: **"الخضر"**، إبن الباشا المرحوم السيد محمد السلاوي، حيث أن أول عمل قام به هذا الباشا يوم تعيينه باشا على تيطاوين هو استخلاف

القائد التلمساني بقائد آخر، لأنه حسب **"الرهوني"** لم يرق له((ج/3)، 2003، ص: 87)، وقام بسجنه سنة **1284هـ/1867م**(المعلمة، (ج/8)، 2008، ص: 2525).

والشيخ العالم محمد التلمساني قال عنه صاحب **"عمدة الراوين"** أنه كان من شيوخ **"السكيرج"**(الرهوني، (ج/5)، 2003، ص: 197)، وأن هذا الأخير ترجم له في **"نزهة الإخوان"**، على أنه من العلماء والأدباء، وكان له خط جميل، ناهيك على أنه كان مُدرسًا وفقيهًا(بوهليلة، 2012، ص: 75).

توفي محمد التلمساني عام **1202هـ/1794م**(الرهوني، (ج/5)، 2003، ص: 198).

أما بيوتات العلم والتجارة المهاجرة سنة **1220هـ/1812م**، على ما هو مُبَين في الجدول الموالي:

الجدول رقم 01: بيوتات تلمسان العلمية والتجارية المهاجرة لحواضر المغرب الأقصى سنة 1220هـ/1812م.

الرقم	إسم الأسرة	المكان المهاجر منه	مكان الإستقرار	تاريخ الهجرة
01	**عائلة بلعباس**	**تلمسان**	**فاس**	**قبل 1220هـ/1812م**
02	**عائلة بوعنان**	**تلمسان**	**فاس**	**قبل 1220هـ/1812م**
03	**عائلة بوعياد**	**تلمسان**	**فاس**	**قبل 1220هـ/1812م**

المرجع: (الشيباني، (د.ت)، ص: 252).

ومن البيوتات العلمية والتجارية التي ذكرتها كتب الأنساب المغربية على غرار صاحب **"مصابيح البشرية"**، نستعرض مجموعة منها في الجدول الموالي:

الجدول رقم 02: جدول يعرض أسماء العائلات التلمسانية الأصل المهاجرة وسنوات هجرتها إلى المغرب الأقصى.

الرقم	إسم الأسرة	المكان المهاجر منه	مكان الإستقرار	تاريخ الهجرة
01	بيت آل النميشي التلمساني	تلمسان	فاس	سنة 1246هـ/1838م
02	بيت ابن وضاح التلمساني	تلمسان	فاس	سنة 1246هـ/1838م
03	بيت آل مسواك التلمساني	تلمسان	فاس	سنة 1246هـ/1838م
04	بيت ابن عصمان التلمساني	تلمسان	فاس	سنة 1246هـ/1838م
05	بيت أولاد ابن ثابت التلمساني	تلمسان	فاس	سنة 1246هـ/1838م
06	بيت آل الزغاري التلمساني	تلمسان	فاس	سنة 1246هـ/1838م
07	بيت آل النكروف التلمساني	تلمسان	فاس	سنة 1246هـ/1838م
08	بيت آل المشرفي التلمساني	تلمسان	فاس	سنة 1246هـ/1838م

09	بيت آل السليماني التلمساني	تلمسان	فاس	سنة 1246هـ/1838م
10	بيت ابن يخلف التلمساني	تلمسان	فاس	سنة 1246هـ/1838م
11	بيت آل البوزيدي التلمساني	تلمسان	فاس	سنة 1246هـ/1838م
12	بيت آل القيسي التلمساني	تلمسان	فاس	سنة 1246هـ/1838م
13	بيت أولاد بوعنان التلمساني	تلمسان	فاس	؟
14	بيت أولاد اليزيد التلمساني	تلمسان	بني يزناسن	سنة 1246هـ/1838م
15	بيت بن منصور التلمساني	تلمسان	فاس	سنة 1246هـ/1838م

المرجع: (الشيباني، (د.ت)، ص: 262).

2.1.1.2.2. البيوتات العلمية:

ومن البيوتات العلمية التلمسانية بالمغرب الاقصى التي اختصت في العلم دون سواه، نذكر:

1.2.2.1.1.2. بيت أولاد المريي التلمساني (1012هـ/1604م.1018هـ/1609م):

يعود أصل تسمية هذا البيت العلمي إلى مدينة **"ألمرية"** الواقعة بجنوب الأندلس(القادري، 1983، ص: 52)، وهم بيت علم شريف، ارتحلوا من تلمسان إلى الأندلس ثم عادوا إليها، ومنها إلى فاس عام **1012هـ/1604م**، على حسب ما أورده صاحب **"الدرر البهية"**، حيث قال في هذا الشأن: "**وكان دخول هؤلاء الشرفاء لفاس حسبما يؤخذ من رسومهم سنة اثنتي عشرة وألف، وهذا العمود هكذا في اصدقتهم**"(الفضيلي، (ج/2)، 1999، ص: 176). ومن علمائهم نذكر:

.أبو عبد الله محمد الحاج بن أحمد المري التلمساني (ت: 1018هـ/1609م):

المدعو الحاج بن أحمد بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن مسعود بن عبيد الله بن محمد الشريف التلمساني بن محمد بن احمد بن علي بن يحيى بن المعتصم بن محمد بن المأمون بن القاسم بن حمدون بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن ادريس الإمام(القادري، الإكليل والتاج ...، (دت)، ص ص: 279.311).

نشأ أحمد المري بتلمسان، وخطب فيها، وأخذ عن **"المنجور"** وغيره، وأخذ عنه محمد العربي الفاسي **(ت: 1052هـ/1644)**، ورحل لفاس بقصد قراءة العلم بجامع القرويين، ثم انتقل لمراكش ودرس العلم بها وأفتى(الفاسي، 2008، ص: 334).

وكان على حسب المصادر، فقيهًا صالحًا، يَدرُس **"الرسالة"** ويلازمها بنقل سائر شروحها، وولى الفتوى بالقرويين(الكتاني، (ج/3)، 2004، ص: 286).

2.2.2.1.1.2. بيت التلمساني التطواني (958هـ/ 1558م.1202هـ/1788م):

أسرة تطوانية أصلها من تلمسان(القادري، نشر المثاني ...، (ج/1)، 1986، ص: 150)، وكان من بين أفرادها العالم المدرس الإمام بزاوية **"مولاي محمد الوزاني"** بالقرب من باب التوت(الكتاني، (ج/3)، 2004، ص: 286)، أبو عبد الله محمد التلمساني المتوفي حسب **"السكيرج"** سنة **1192هـ/1778م**، وحسب **"الرهوني"** سنة **1202هـ/1788م**(الكتاني، (ج/3)، 2004، ص: 286).

2 . 1 . 1 . 2 . 2 . 3. بيت أولاد أبو بكر بن مشيش التلمساني (القرن 11هـ/17م حتى القرن 14هـ/20م):

يرجع نسب هذا البيت العلمي إلى العالم أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل **(ت: 960هـ/1553م)**، قاضي **"القيروان"**، وصاحب كتاب **"تنبيه الأنام"** الشهير، وذكر صاحب **"معجم الشيوخ"** على أنه من مدينة تلمسان(الفاسي، معجم الشيوخ، ... 2003، ص:87).

ومن علماء هذا البيت العلمي نجد:

.فضل الله ابن عبد الله بن خليفة بن أبي بكر مشيش البوبكري الجليلي التلمساني (من علماء القرن: 12هـ/18م):

من أحفاد العالم خليفة بن أبي بكر مشيش البوبكري الجليلي التلمساني **(من علماء القرن: 11هـ/17م)**، أشار له صاحب **"معجم الشيوخ"** أنه كان قاضيًا خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، بقوله: "**(...) وحفيده فضل الله كان من أهل العلم وتولى القضاء (...)**"(الفاسي ، **معجم الشيوخ** ...، 2003، ص: 237).

2 . 1 . 2. على مستوى الأعلام:

اتخذ علماء تلمسان حواضر المغرب الأقصى قبلة لهم، لاسيما حاضرة: فاس، مكناس، مراكش، سلا، طنجة، السوس، تيطاوين...، وغيرها. لكونها منبعًا لمعظم المؤلفات المتداولة بينهم. فهناك عدد كبير من العلماء والطلبة من تلمسان الذين زاولوا دراستهم بحواضر المغرب الأقصى. وأغلبهم تقلد مناصب عليا، وفي الآتي نذكر نماذج منهم :

ـ أبو الحسن علي بن عيسى الراشدي التلمساني (ت: 980هـ/1572م):

استوطن مدينة فاس واستهل عمله فيها بتدريس الكراريس، وهي المنظومات الأولية المتعلقة بضبط القرآن، ورسمه، وتجويده. ثم أسند إليه كرسي الشاطبية الكبرى بمسجد الشرفاء، فدرسها مدةً طويلةً، وختمها مرات عديدة، واستعمل من شروحها عددًا ذكره **"المنجور"** في **"الفهرسة"**، وقال أنه قرأها عليه في جماعة من الطلبة، الذين كانوا يحضرون مجالسه في **"بردة البوصيري"** يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع(إبن القاضي، 1973، ص: 311).

ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش المقري التلمساني (ت: 1041هـ/1641):

رجع المقري للمغرب في رحلته الثانية سنتي**1013هـ/1604م**، و**1014هـ/ 1605م**، ومكث به أربعة عشر عامًا، انتهت بتوجهه إلى المشرق في أواخر رمضان سنة 1027هـ/1617م، وفي أوائل جمادى الأولى سنة **1022هـ/ 1613م**، أسندت إليه وظيفة الإفتاء والخطابة والإمامة بجامع القرويين، فظل متوليًا لها أزيد من خمس سنوات، إلى أن خرج متوجها إلى المشرق(المقري، (ج/2)، 1998، مقدمة التحقيق، ص: 135).

وقد تصدى أحمد المقري للتدريس هناك، فتخرج عليه عدد من أعلام المغرب الأقصى. حيث قال هو نفسه في **"نفح الطيب"** عن تقلده هذه المناصب: "**(...) وارتحلت (...) إلى حاضرة فاس (...)، فشغلت بأمور الإمامة والفتوى والخطابة وغيرها (...)**"(المقري، (ج/7)، 1998، مقدمة التحقيق، ص: 135). وهو ما أكه صاحب **"مرآة المحاسن"** حيث قال: "**(...) والشيخ الإمام أبو العباس أحمد المقري (...) ولى الفتوى بفاس (...)**"(الفاسي، مرآة المحاسن ...، (د.ت)، ص: 223). والشهاب المقري واحد منهم.

ولقد اورد **"محمد داود"** في كتابه **"تاريخ تطوان"**، ما كان الشهاب المقري يتلقاه من فتاوى أهل المغرب الأقصى، وبالضبط ثلاث فتاوى تطلب النازلة الفقهية. **الأولى**: متعلقة بالميراث، مؤرخة سنة **1012هـ/1606م**، **والثانية**: تتعلق باشهاد حق من ابن لأبيه في إطار الميراث من دون تاريخ. **والثالثة**: متعلقة كذلك بالميراث من دون تاريخ أيضًا، حيث جاء نص السؤال في شكل طلب نازلة فقهية، هذا جزء منها: "**(...) ونص السؤال المركب على هذه الرسوم، الحمد لله، سيدي رضي الله عنكم وأرضاكم جو ابكم المبارك بعد تأملكم البيع أعلاه ورسم الحجر ورسم الاسترعاء، بعد والنازلة أعزكم الله (...)**"(داود، 1959، ص: 303 ـ 304).

ولقد نشر **"عبد الله نجمي"** مقالة في شكل منظومة وأرجوزة موسومة بـ: **"الوشي العبقري في مساورة الإمام المقري"**، مؤلفة من قبل العالم الفقيه الإفراني **(ت: 1154هـ/1741م)**، صاحب **"صفوة من انتشر"**، موضوعها يخص نازلة فقهية أدلى بها الشهاب المقري وأتى بها تلميذه الشيخ **"محمد ميارة"** في **"شرحه على تحفة ابن عاصم"**، تتعلق بانسحاب الوصي على بني المحجور، والتي أبطلها **"الإفراني"** فيما بعد بالنصوص والقواعد الأصولية والضوابط الفقهية الصريحة في ذلك، وأكد **"الإفراني"** مرة أخرى إلى جانب هذه الأرجوزة في ترجمته للمقري في **"الصفوة"**، يُثبت من خلال هذا الكلام الآتي الذكر أن أبو سالم العياشي **(ت: 1080هـ/1677م)**، قد انتقد المقري في مسألة مُماثلة قبل ذلك، وقال **"الإفراني"** في **"الصفوة"** أن **"المقري"**: "**كان إذا أفتى في نازلة فسئل عنها مرة أخرى يمتنع من الجواب مخافة أن يكون في الثانية ما يقضي الفتوى بما يحتمل الأولى، فينسبه الكاشحون لما لا يليق**"(الإفراني، 1888، ص: 74).

وقد جعل **"الافراني"** مسك ختامه **"الوشي العبقري"** في ضبط لفظ **"المقري"**، وتحقيق مدفنه، والتنويه بكتابه "نفح الطيب" بالذات، تعبيرًا عن افتتانه القديم به، وامتنانًا للفضل الذي كان له في تكوينه وإنتاجه منذ شبابه الأول(مجموعة مؤرخين، 1970م، ص: 589). واعتذر ما وسعه الاعتذار عن مُفاوضته، وأكد لقارئه أنه لم يقصد الرد على **"المقري"**، أو ادعاء مداناة قدره وفهمه. وأن دافعه المباحثة في العلم، والتي تقع بين الفاضل والمفضول، وأن الأول قد يخطئ، والثاني قد يُصيب.

ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن تافياطت التلمساني (ت: 1052هـ/1644م):

نزيل إيليغ وأحد المدرسين بها، توفي يوم الأحد **14** رمضان من سنة **1052هـ/1644م**(الرسموكي، 1988م، ص: 45).

ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحناوي التلمساني (ت: 1080هـ/1672م):

من علماء قرية الحناية بتلمسان، وقاضي وخطيب مدينة فاس، توفي إثر صلاة الجمعة **16** رمضان. قال في خصاله الشخصية **"العربي الفشتالي"**: "**وكان هذا الرجل من أحسن أهل زمانه عشرة وأطيبهم أخلاقا رحمه الله. ودفن من الغد(...)**"(القادري، **نشر المثاني...**، (ج/2)، 1986، ص: 187).

ـ أبو عبد الله محمد التلمساني التطواني (ت: 1192هـ/ 1782م):

كان من علماء مدينة تطوان ومدرسيها(الكتاني، 2004، ص: 403).

ـ أبو عبد الله محمد بن الطاهر المْيرْ التلمساني السلاوي (ت: 1220هـ/1820م):

كان عالمًا مشاركًا، وقاضيًا بسلا، توفي بمدينة سلا(الناصري، (ج/1)، (د.ت)، ص: 314).

ـ أبو العباس أحمد التلمساني (كان حيا سنة: 1245هـ/1829م):

ورد ذكره في وثيقة عرف بها الدكتور **"خليفة حماش"**، تندرج ضمن مراسلات السلطان عبد الرحمن بن هشام، المحفوظة في مكتبة الخزانة الحسنية في مجموع **(1)**، رقم الوثيقة **(6)**، تتعلق بأمر من السلطان المذكور إلى القائد عبد السلام السلوي عامله في طنجة، مؤرخة في **11** ربيع الثاني **1245هـ/9** أكتوبر **1829م**، حول منع الإفتاء عن بعض علماء المغرب الأقصى، أحدهم ينسب إلى مدينة تلمسان، وهم **"محمد العشاب"** بالقصر الكبير، و**"محمد بن الهاشمي"** ببني جرفط، و**"أحمد التلمساني"**، وغيره..، ومُبرر السلطان في ذلك أنه لم يأذن لهم في الفتوى. علاوة على ذلك، فإنهم أكثروا التخليط والتلبيس على الناس. فيقول السلطان(حماش، 2018، ص: 25).

**

3. خاتمة:

وما يُمكن استنتاجه مِمَّا عُرض من معلومات مُوثقة بخصوص بروز النخبة التلمسانية العالمة في حواضر المغرب الأقصى في الفترة الحديثة، ما يلي:

. أنَّ ما وصلت إليه الحواضر العلمية بالمغرب الأقصى من تفوق في العلوم والمعرفة في الفترة الحديثة، كانت تلمسان جزء منه، عندما تسرَّبت منها علوم مدارسها إلى المؤسسات الثقافية **بفاس، ومكناس، ومراكش، وتارودانت**...، بواسطة علماء وبيوتات علمية بكاملها أثْرَت الحياة الأدبية والثقافية بتلك الحواضر.

. بالرغم من العوائق والصعوبات التي عاشتها النخبة العالمة بحواضر المغرب الأقصى بسبب المنافسة الشرسة لها من قبل البيوتات المغربية، إلا أنها عرفت كيف تتكيف مع الوضع العلمي والاجتماعي الجديدين، اللذان حتما عليها مُسايرة تلك الظروف، ومُواصلة طريق التحصيل العلمي.

. نبغت الكثير من البيوتات العلمية التلمسانية في المراكز العلمية بالمغرب الأقصى بدرجات مُتفاوتة، وإن كانت الدراسة قد اقتربت من تأكيد تفوق كل هذه البيوتات العلمية في مجال تخصصها إن صح التعبير.

. حافظت النخبة التلمسانية العالمة على مستواها الفكري والمعرفي بالمغرب الأقصى، وسعت إلى تطويره، بل وبعضها من اجتهدت أكثر لتصل إلى مراتب علمية ودينية لم تصلها حتى النخبة المغربية.

. نلاحظ أن النخبة التلمسانية قد استطاعت أن تحصل على مكانة علمية ودينية مُميزة من طرف الخاص والعام بالمغرب الأقصى، وهذا راجع على ما يبدو لتمكنها في العلوم والمعرفة، بشهادة تلامذتهم وأساتيذهم من المغرب الأقصى.

**

4. قائمة المصادر المراجع:

1) الإفراني (أبو عبد الله محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله ت: 1152هـ/ 1739م). (1888). **نزهة الحادي في أخبار القرن الحادي**، تصحيح: هوداش، مطبعة بردين، أنجي.

2) البطوئي (عيسى بن محمد اليحيوي الراسي كان حيا سنة: 1046هـ/1636م). (2000). **مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح**، دراسة وتحقيق: الفكيكي حسن، منشورات طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط.

3) بن عزوز (محمد). (2019). **عقد الألماس في بيوتات علماء تلمسان في فاس، ويليه: زهرة الريحانة في الصلات العلمية بين فاس وتلمسان**، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

4) بوهليلة (إدريس). (2012). **الجزائريون في تطوان خلال القرن 13هـ/19م، مساهمة في التاريخ الإجتماعي المغربي**، مطبعة الهداية، تطوان. المغرب.

5) التلمساني (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري ت: 1041هـ/ 1631م). (1998). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، (ج/2)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر العربي، بيروت.

6) داود (محمد)، (1959). **تاريخ تطوان**، منشورات معهد مولاي الحسن، تطوان.

7) الرسموكي (؟ كان حيا نحو سنة: 1098هـ/1688م). (1988). **الوفيات**، تحقيق: السوسي محمد المختار، مطبعة الساحل، الرباط.

8) الرهوني (أبو العباس أحمد ت: 1373هـ/ 1953م). (2003). **عمدة الراوين في تاريخ تِطَاوِين**، (ج/3)، تحقيق: جعفر بن الحاج السلمي، مطبعة الخليج العربي، تطوان.

9) روجي (لوطورنو). (1996). **فاس قبل الحماية**، (ج/2)، ترجمة: حجي محمد والأخضر محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

10) الطود (محمد المهدي الحسني). (2004). **القصر الكبير ورجالاته عبر التاريخ**، مطبعة طوب بريس ـ الرباط.

11) الفاسي (أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفهري ت: 1052هـ/ 1652م). (د.ت). **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، ونبذة عن نشأة التصوف والطريقة الشاذلية بالمغرب**، دراسة وتحقيق: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، دار ابن حزم.

12) الفاسي (عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير ت: 1383هـ/1983م). (2003). **معجم الشيوخ، المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب**، تصحيح وتعليق: خيالي عبد المجيد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان.

13) الفضيلي (أبو الفضل عبد الله مولاي إدريس ت: 1316هـ/1896م). (1999). **الدرر البهية والجواهر النبوية**، مراجعة ومقابلة: العلوي أحمد بن المهدي والعلوي مصطفى بن أحمد، (ج/2)، مطبعة فضالة، المحمدية (المغرب).

14) القادري (أبو عبد الله محمد بن الطيب الجيلاني ت: 1187هـ/ 1773م). (1986). **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، (ج/1)، تحقيق: حجي محمد وآخرون، مكتبة الطالب، الرباط.

15) (قاموس). (2008). **معلمة المغرب، قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى**، (ج/8)، مطبعة النجاح الجديدة، سلا.

16) إبن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي الفاسي ت: 1056هـ/ 1651م). (1973). **جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط .

17) الكتاني (أبو عبد الله محمد بن جعفر بن ادريس ت: 1345هـ/1927م). (2004). **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، (ج/3)، تحقيق: محمد حمزة بن علي الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء.

18) مجموعة مؤرخين. (1970). **وقفات في تاريخ المغرب، دراسات مهداة للأستاذ ابراهيم بوطالب**، تنسيق: القدوري عبد الحق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الرباط.